Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في هذه الحضارة كائن كتابي، لا يقوله كلامه، ولكن تقوله النصوص التي حلّت به واخترعته جسداً.

● ـ لقد أدرك الجاحظ أهمية النظام الإشاري للمكتوب في النظام المعرفي العربي والعالمي، فتكلم عنه، ثم أوجز فقال: «وكان يجعلون الكتاب حفراً في الصخور، ونقشاً في الحجارة، وخِلْقة مركبة في البنيان. فربما كان الكتاب هو الناتئ، وربما كان الكتاب هو الحفر، إذا كان تاريخاً لأمر جسيم، أو عهداً لأمر عظيم، أو موعظة يرتجى نفعها، أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره»[16]. وإذا كانت هذه أداة الكتابة وغايتها، «فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب، وشكل من الأشكال»[17]. وعليه، «فليس بين الرقوم والخطوط فرق [...]، وكلها خطوط، وكلها كتاب، أو في معنى الخط والكتاب. ولا فرق بين الحروف المجموعة والمصوَّرة من الصوت المقطَّع في الهواء، ومن الحروف المجموعة المصوّرة من السواد في القرطاس فرق»[18].

● ـ وإذا كانت الحضارة العربية تقوم من حيث الأساس، على حضور الخطاب وشهادة النص، فإن هذا يعني أن الكتابة فيها ليست وعياً غائباً، ولا أداة ناقلة بين الأدوات، ولا هي هذا العصر أو ذاك، ولا هذه اللغة أو تلك، ولا هذا الشعب «مختاراً» أو ذلك الفرد ملهماً. كما أنها ليست أيضاً تلك «الحضارة» معزولة، ولا هذه «الأفكار» دون غيرها، ولا ذلك الواقع معكوساً فيها دون سواه. وهي بالإضافة إلى ذلك ليست صورة للأشياء، أو صورة لنظام حكم قائم في دولة من الدول، أو صورة لإيديولوجيا جمعت إليها كل الحقائق.

إن الكتابة حضور، وهذا هو جسدها الحق. ولذا كانت، عبر كل العصور، تداخل أنظمة، واشتعال لذة، واستنفار أسئلة يولد